الدين مفهومه وحقيقته في ضوء القرآن والسنة

بهجت عبدالرزاق الحباشنة

عمان – الأردن

المفرق - ص. ب ١٣٠٢٢١ – الرمز البريدي ٢٥١١٣

الملخص:

في هذا البحث تناول الباحث مفهوم الدين وحقيقته في ضوء القرآن والسنة، وهذا يجعل البحث جديداً في مجال الأديان المقارنة، حيث إن الذين كتبوا في مفهوم الدين - قبل ذلك- فقد كتبوه في معزل عن الآيات القرآنية والآحاديث النبوية الشريفة. وقد خلصت هذه الدراسة إلى عدة نتائج قائمة على الدليل من القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة أو منهما معاً. وكان من أهمها، أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذكرت الدين بمعناه الخاص وهو الإسلام الذي جاءَ به جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- ، وذكرت أيضاً الدين بمعناه العام والذي يشمل كل معتقد قائم على الإيمان بإله.

وقد أكدت الدراسة - أيضاً- من خلال القرآن والسنة العلاقة الوطيدة التي لا تنفك بين الدين والإنسان فهو بحاجة إلى الدين ولا يمكن أن تستقيم حياته دونه. ثم حددت الدراسة من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة بداية خروج الإنسان عن دين الفطرة، مما أدى ذلك إلى تعدد الأديان بجانب الدين الإلهي الوحيد الذي جاءَ به جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - . ثم ظهرت بعد ذلك المقارنة بين الأديان أو المعتقدات بصورتها العملية.

المقدمـة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين وبعد.

فإنَّ كثيراً من الذين كتبوا عن مفهوم الدين وحقيقته، كتبوا من وجهة نظر قائمة على المعنى اللغوي للدين، أو المعنى الاصطلاحي عند الغربيين، أو من وجهة نظر قائمة على اجتهاد بالرأي وفي معزلٍ عن الدليل من القرآن أو السنة النبوية الشريفة. ومن هذه الكتابات، الدين "بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان"[١]، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب[٢]، وآديان وفرق[٣]، ودراسات في الأديان والفرق[٤]، وإظهار الحق في الأديان والفرق[٥] وغيرها، مما أدى ذلك إلى ظهور أخطاء كثيرة تتعلق بمفهوم الدين وحقيقته.[٦]

ورغم ذلك فقد ظهرت دراسة يعدها الباحث المنصف من أفضل الدراسات الحديثة التي تناولت تعريف الدين في اللغة والاصطلاح، من خلال الآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف، وهذه الدراسة موسومة بـ "دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية" للدكتور الفاضل سعود بن عبد العزيز الخلف[٧]، ولكنها تعد دراسة مختصرة فيما يتعلق بمفهوم الدين وحقيقته وأن اشتملت على مواضيع هامة تتعلق بالديانتين اليهودية والنصرانية. لذا فقد جاء هذا البحث استدراكا على تلك الدراسة فيما يتعلق بمفهوم الدين وحقيقته في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وقد نهجت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قمت باستقراء النصوص الشرعية من القرآن والسنة ثم قمت بتحليلها وذلك للإجابة عن أسئلة عدة وهي ما مفهوم الدين؟ وما علاقته بالإنسان؟ وهل الدين متعدد أم واحد ؟ هذا وأرجو من الله - ﷻ - أن يرزقني الإخلاص والسداد والقبول.

الدين في اللغة والاصطلاح

الدين في اللغة:

"الدين" الجزاء والمكافأة، يقال: دِنْتُه بفعله دَيْناً أي جزيته، ويوم الدين: يوم الجزاء. يقال في المثل: كما تدين تدان: أي كما تُجازي تجازى أي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت، وقيل: كما تفعل يفعل بك، قال خويلد بن نوفل الكلابي للحرث بن أبي شهر الغساني، وكان قد اغتصب ابنته:

يـا أيها الملك المخَـوفُ، أمـا تـــرى ... لـيـلاً وصبحاً كـيــف يختلفان ؟
هـل تستطيع الشـمس أن تأتي بهـا ... لــيــلاً، وهل لك بالمليك يــدانِ؟
يـــا حـارِ، أيقن أن ملكك زائـلٌ؟ ... وأعلم بـأنَّ كمــا تديـن تُـدان[٨]

والمعنى: أي تجزى بما تفعل. وقولهِ تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [٩]، أي مجزيون محاسبون. ومنه "الديان" في صفة الله - ﷻ- أي الحكم القاضي.

والدين الحساب[١٠]، ومنه قولهِ تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [١١] وقيل: معناه مالك يوم الجزاء، وقولهِ تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[١٢]، أي ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي.[١٣]

والدين الطاعة. وقد دنته ودنت له أي أطعته، قال عمرو بن كلثوم:

وأيامـــاً لنـــا نمـرا كرامـــا ... عصينـــا الملك فيها أن ندينـــا[١٤]

وفي الحديث: " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله"[١٥]. قولهِ دان نفسه أي أذلها واستعبدها، وقيل: حاسبها[١٦].

مما سبق يتبين لنا أن كلمة "دين" تؤخذ أحياناً من فعل متعد باللام "دان له" فيكون المعنى خضع له، وأطاعه، وعلى ذلك فيكون معنى "الدين" اللغوي الخضوع

والطاعة، وأحياناً تؤخذ من فعل متعد بالباء "دان به"، فيكون المعنى أنه اتخذه ديناً ومذهباً ومعتقداً. وبذلك يكون معنى "الدين" اللغوي هو المذهب أو المعتقد الذي يتخذه المرء عملياً أو نظرياً. وأحياناً تؤخذ كلمة "دين" من فعل متعد بنفسه "دانه يدينه" ومعنى ذلك ملكه، وحكمه، وساسه، وحاسبه، وقهره، ودبره، وكافأه. وبذلك يكون المعنى اللغوي لكلمة "الدين" الملك، والحكم، والتصرف، والمجازاة، والمحاسبة، والتدبير[١٧]

الدين في الاصطلاح :

لقد عرف الدين في العرف والاصطلاح بعدة تعريفات، ولكن لا بُد من التفريق بين التعريف الذي ذهب إليه العلماء المسلمون، والتعريفات التي نقلت عن علماء غير مسلمين.

فالعلماء المسلمون عرفوا "الدين" بعدة تعريفات يمكن أن تلخص في التعريف التالي: "الدين هو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات"[١٨]. والذي يمعن النظر في هذا التعريف يجده محصوراً في الدين المنزل من عند الله –عز وجل- ، ويخرج في هذا التعريف كل دين هو من صناعة البشر، وهذا ما ندركه مما ورد في التعريف السابق "الدين وضع إلهي". وهذا من وجهة نظري أراه يتناقض مع عدة نصوص قرآنية يفهم منها إما بالتصريح أو التلميح أن كلمة "دين" قد تطلق أيضاً على الديانات الوضعية ومن هذه الآيات القرآنية:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾[١٩].

٢- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢٠].

٣- قال تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً﴾[٢١].

٤- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقّ﴾[٢٢].

٥- قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٢٣].

أما المعنى الاصطلاحي لكلمة "دين" عند العلماء غير المسلمين، فقد نقل الدكتور محمد عبد الله دراز - رحمه الله- في كتابه (الدين/ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)[٢٤]. عدة تعريفات منها:

١- يقول كانت في كتابه "الدين في حدود العقل": " الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية".

٢- يقول الأب شاتل: في كتابه "قانون الإنسانية": "الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه".

٣- يقول تايلور، في كتابه "المدنيات البدائية": "الدين هو الإيمان بكائنات روحية".

مما سبق يتبين لنا بأن كلمة "دين" من وجهة نظر إسلامية، أو غير إسلامية يمكن أن تطلق على الإسلام وغيره من الديانات الأخرى.

كلمة "دين" وعلاقتها مع الكلمات "ملة ونحلة وأمة"

وردت كلمة "ملة في القرآن الكريم في عشر آيات[٢٥]، وبصيغة "ملتكم" في آية واحدة[٢٦]، وفي صيغة "ملتنا" في آيتين[٢٧]، وفي صيغة "ملتهم" في آيتين[٢٨]، وفي جميع هذه الآيات وباتفاق المفسرين أن كلمة "ملة" تعني الدين، فلا فارق بين كلمة "الدين" وكلمة ملة" في المعنى الاصطلاحي[٢٩].

أما كلمة "نحلة" فقد وردت في القرآن الكريم في آية واحدة، قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾[٣٠] قال الرازي في سياق الآية: "قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد: فريضة، وإنما

فسروا النحلة بالفريضة، لأن النحلة في اللغة معناها الديانة والملة والشرعة والمذهب، يقال: فلان ينتحل كذا إذا كان يتدين به، ونحلته كذا أي دينه ومذهبه، فقوله: "وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً" أي أتوهن مهورهن، فإنها نحلة أي شريعة ودين ومذهب وما هو دين ومذهب فهو فريضة"، وقال الزجاج: ("نحلة" تدينا، والنحلة الديانة والملة، يقال هذا نحلته أي دينه)[٣١].

أما كلمة "أمة" فقد قال ابن كثير في سياق قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[٣٢]: "أي ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة، والمراد بها الدين ههنا"[٣٣].

وقال الرازي في سياق قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣٤]: "إنهم كانوا على دين واحد وهو الإيمان والحق، وهذا قول أكثر المحققين"[٣٥].

دين الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام-

بعد أن عرفنا معنى الدين في اللغة والاصطلاح يظهر لنا السؤال التالي: هل يجوز- من وجهة نظر إسلامية- إطلاق تعبير "دين سماوي" على أي دين غير الإسلام كالديانتين اليهودية والمسيحية؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال، فلا بُد من الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة، والوقوف عند بعض الآيات القرآنية الكريمة، والتي لها علاقة وطيدة في الموضوع، لعلنا نجد فيها الجواب الشافي وهذه الآيات هي :

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٣٦].

من خلال التعليق على قولهِ تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ في الآية السابقة، يؤكد ابن كثير بأن هذا إخبار من الله - عز وجل- أن الدين المقبول عنده - سبحانه وتعالى- هو الإسلام، وهو الدين الذي بعث الله - سبحانه وتعالى- به جميع الرسل، حتى ختموا بمحمد - عليهم الصلاة والسلام جميعاً- [٣٧]. من ذلك يظهر لنا أن دين الله - عز وجل- دين واحد أنزله لجميع الأمم على وجه الأرض، منذُ أن خلق الله - سبحانه وتعالى- آدم - عليه السلام- وحتى إرسال محمد - صلى الله عليه وسلم- [٣٨]. وفي الحديث الصحيح، عن أبي هريرة - رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة" قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: "الأنبياء أخوة من علات. وأمهاتهم شتى. ودينهم واحد. فليس بيننا نبي"[٣٩]. وأما قولهِ تعالى: {وما اختلف الذين أوتوا الكتاب} ، يقول الإمام الرازي فيه وجوه: الوجه الأول: المراد بذلك اليهود، والوجه الثاني:المراد بهم النصارى، والوجه الثالث: المراد بهم اليهود والنصارى معاً[٤٠]، وهذا ما ذهب إليه صاحب البحر المحيط في التفسير، وذلك لأن اليهود قالوا عزير ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله وقد أنكروا نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم- [٤١]. واختلاف اليهود والنصارى، لم يقتصر على تغيير المبادئ والأُسس التي جاء بها موسى وعيسى - عليهما السلام- ، بل امتدت أيضاً إلى تغيير اسم دين الله - عز وجل- وهو الإسلام ليصبح بدلاً من ذلك "اليهودية" وذلك نسبة إلى يهوذا[٤٢]، أو "النصرانية"، وذلك نسبة إلى عيسى الناصري[٤٣]، وهي تسميات من صنع البشر، ولهذا فقد نفاهما الله - عز وجل- عن إبراهيم - عليه السلام- ، حيث قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٤٤].

٢- قال تعالى:﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤٥].

إن بعض العلماء عندما يعلق على هذه الآية، ويحاول تفسيرها أو شرحها دون الرجوع إلى الآيات التي سبقتها نراه يحصر كلمة "الإسلام" بالدين المنزل على محمد - ﷺ- فقط. وهذا من وجهة نظري قد جانب الصواب، ولو رجعنا إلى الآيات التي سبقت هذه الآية، لأدركنا أن كلمة "الإسلام" مقصود بها دين الله تعالى المنزل على جميع الرسل والأنبياء عبر جميع العصور، وليست مقصورة على رسالة محمد - ﷺ- ، فالآيات السابقة لهذه الآية يقول فيها تعالى:
﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُون❖ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ❖ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤٦].

فقوله - تعالى- في آخر الآية ٨٤ من سورة آل عمران - المذكورة سابقاً- ﴿ونحنُ له مسلمون﴾ تبعها في الآية التي تليها (آل عمران ٨٥) قوله: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ فهذا يعني أن الدين المقبول عند الله - ﷻ- هو الإسلام، وأن كل دين سواه فأنه مرفوض، ثم بين - تعالى- أن كل من له دين غير الإسلام فهو خاسر في الآخرة، والخسران هنا يكون بالحرمان من الثواب، وحصول العقاب[٤٧].

٣- قال تعالى: ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون

الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾[٤٨].

وهنا لا بُد من الوقوف عند قولهِ تعالى: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾، وقولهِ تعالى: ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾، حتى يتسنى لنا الفهم العميق والدقيق لهذه الآية الكريمة.

ففي قوله تعالى: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾، يقول الزجاج: "المعنى اتبعوا ملة أبيكم"[٤٩] وقال الفراء: "انتصب على تقدير حذف الكاف، كأنه قال كملة"[٥٠]. وينقل ابن كثير عن ابن جرير قولين في معنى قولهِ تعالى[٥١]: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾. القول الأول أن "ملة" نصبت على تقدير "ما جعل عليكم في الدين من حرج" أي من ضيق بل وسعه عليكم كملة أبيكم إبراهيم. والقول الثاني أن كلمة "ملة" منصوبة على تقدير الزموا ملة أبيكم إبراهيم. ويعلق ابن كثير على الآية فيقول: " وهذا المعنى في هذه الآية كقولهِ تعالى: ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾[٥٢].

ويعلق سيد قطب على هذه الآية فيقول : " وهذا الدين كله بتكاليفه وعباداته وشرائعه ملحوظ فيه فطرة الإنسان وطاقته. ملحوظ فيه تلبية تلك الفطرة. وإطلاق هذه الطاقة، والاتجاه بها إلى البناء والاستعلاء. فلا تبقى حبيسة كالبخار المكتوم. ولا تنطلق انطلاق الحيوان الغشيم! وهو منهج عريق أصيل في ماضي البشرية، موصول الماضي بالحاضر: "ملة أبيكم إبراهيم" وهو منبع التوحيد الذي اتصلت حلقاته منذ عهد إبراهيم - عليه السلام- فلم تنقطع من الأرض، ولم تفصل بينها فجوات مضيعة لمعالم العقيدة كالفجوات التي كانت بين الرسالات قبل إبراهيم - عليه السلام- [٥٣].

وفي قولهِ تعالى: ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾، لا بُد من الوقوف عند الضمير "هو" فهل يعود إلى "الله - عز وجل - "، أم إلى إبراهيم - عليه السلام - ، قال ابن زيد والحسن : "هو" يرجع إلى سيدنا إبراهيم - عليه السلام - ومعنى ذلك أي أن إبراهيم هو الذي سماكم المسلمين من قبل النبي محمد - عليه السلام - ويضيف ابن زيد قائلاً: وهذا معنى قولهِ تعالى: ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾[٥٤]. ويرد على هذا الرأي النحاس حيث يقول تعليقاً عليه: "وهذا القول مخالف لقول عظماء الأمة". حيث روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: "سماكم الله - عز وجل - المسلمين من قبل، أي في الكتب المتقدمة وفي هذا القرآن"، وهذا ما ذهب إليه مجاهد أيضاً وغيره[٥٥].

ويقول ابن جرير رداً على من يعيد الضمير "هو" إلى سيدنا إبراهيم - عليه السلام - :"وهذا لا وجه له، لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسم هذه الأمة في القرآن مسلمين، وقد قال الله تعالى:﴿ هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا﴾[٥٦]، حيث قال مجاهد: الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب السماوية السابقة وفي الذكر أيضاً أي في القرآن الكريم[٥٧]. ويعلق ابن كثير على قولي ابن جرير ومجاهد فيقول: "وهذا هو الصواب، لأنه تعالى قال: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل، ثم ذكر منته - تعالى- على هذه الأمة بما نوه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الأنبياء يتلى على الأحبار والرهبان"[٥٨].

وقد أيد ابن كثير ما ذهب إليه بحديث رواه النسائي عند تفسيره لقولهِ تعالى: {هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا} ، حيث قال النسائي أنبأنا هشام بن عمار، حدثنا محمد بن شعيب أنبأنا معاوية بن سلام أن أخاه زيد بن سلام أخبره عن أبي سلام أنه أخبره، قال:أخبرني الحارث الأشعري عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

قال: " من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم" قال رجل: يا رسول الله وإن صام وصلى؟ قال: "نعم وإن صام وصلى" فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله"(٥٩). قال عنه ابن كثير وهذا حديث حسن(٦٠).

٤- قال تعالى: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كُنا من قبله مسلمين﴾(٦١).

وحتى ندرك معنى هاتين الآيتين، لا بُد من العودة إلى معرفة سبب نزولهما، كما ذكر في كتب التفسير المعتمدة(٦٢)، حيث قال سعيد بن جبير، إن هاتين الآيتين نزلتا في سبعين من القسيسين الذين بعثهم النجاشي، فلما قدموا على النبي - ﷺ- قرأ عليهم ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ حتى ختمها، فجعلوا يبكون وأسلموا، ونزل فيهم قولهِ تعالى: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كُنا من قبله مسلمين﴾(٦٣).

وتعليقاً على سبب نزول الآيتين السابقتين يقول القرطبي: (أخبر أن قوماً مما أوتوا الكتاب من بني إسرائيل من قبل القرآن يؤمنون بالقرآن، كعبد الله بن سلام وسلمان. ويدخل فيه من أسلم من علماء النصارى، وهم أربعون رجلاً، قدموا مع جعفر بن أبي طالب المدينة، اثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة، وثمانية نفر أقبلوا من الشام وكانوا أئمة النصارى: منهم بحيراء الراهب وأبرهمة والأشرف وعامر وأيمن وإدريس ونافع. كذا سماهم الماوردي. وأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية والتي بعدها { أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا} قاله قتادة)(٦٤).

ومن هنا ندرك أن دين الله - ﷻ- الذي أنزله إلى البشرية مع أنبياء لا يعلم عددهم إلا الله - ﷻ- هو دين الإسلام، من آدم - عليه السلام- إلى محمد -

ﷺ- . وهناك عدة نقاط ندركها من النص القرآني الكريم، تجعلنا نؤكد أن دين الله - ﷻ- واحد للبشرية غير متعدد، وهذه النقاط هي:

(أ) قولهِ تعالى: ﴿ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾ [٦٥]، ثم جاء بعدها مباشرة قول الله - ﷻ- : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كُنا من قبله مسلمين﴾[٦٦].

فهو كلام الله - ﷻ- ودينه المتواصل الذي لم ينقطع قط وجاء به جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- ، فلم يأتِ محمد - ﷺ- بأمر عقدي اختلف فيه عن بقية الرسل - عليهم السلام- ، حيث يقول - ﷻ- : ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين﴾[٦٧]. ويعلق سيد قطب - رحمه الله تعالى- على هذه الآية فيقول:"إنه - ﷺ- ليس أول رسول، فقد سبقته الرسل، وأمره كأمرهم، وما كان بدعاً من الرسل، بشر يعلم الله أنه أهل للرسالة فيوحى إليه، فيصدع بما يؤمر"[٦٨].

(ب) إن أهل الكتاب - كما ورد في سبب نزول النص الكريم- عندما سمعوا القرآن الكريم من رسول الله - ﷺ- لم يستغربوا ولم يعتبروا أنفسهم أنهم سمعوا شيئاً جديداً، بل إن ما سمعوه ما هو إلا تأكيد لما جاء به الأنبياء - عليهم السلام- من قبل، فقد عرفوا محمداً - ﷺ- وعرفوا القرآن الكريم من خلال الكتب السماوية السابقة، ولم يعتبروا أنفسهم بأنهم غيروا دينهم فهم مسلمون مؤمنون من قبل بعثة محمد - ﷺ- ، ﴿وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا، إنا كُنا من قبله مسلمين﴾[٦٩]. فهو من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى أكثر من تلاوته فيعرف الذين عرفوا الحق من قبل أنه من ذلك المعين، وأنه صادر من ذلك المصدر الواحد الذي لا يكذب[٧٠].

ولهذا نجد أن القرآن الكريم جعل لشهادة الكتابي قيمة، لأنه من الذين يعرفون طبيعة الترتيل، ولهذا قال تعالى: ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٧١].

وهذه شهادة لها قيمتها وحجتها وخاصة وسط المشركين العرب، الذين كانوا يكذبون رسول الله - ﷺ- بغير علم أو معرفة في الكتب المنزلة على الأنبياء، حيث قال فيهم- ﷻ: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾[٧٢].

٥- قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذين أوحينا إليكَ وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من يُنيب﴾[٧٣].

هذه الآية الكريمة تؤكد أن دين الله - ﷻ- واحد غير متعدد، وهذا الدين قد جاءَ به جميع الرسل –عليهم السلام- يقول ابن تيمية –رحمه الله- "وكان دينه الذي ارتضاه لنفسه هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد دينا غيره، لا من الأولين، ولا من الآخرين، وهو دين الأنبياء وأتباعهم"[٧٤]. وقد عقد ابن تيمية فصلا في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" سماه "فصل في أن دين الأنبياء كلهم واحد"[٧٥]. ويقول سيد قطب تعليقاً على الآية السابقة: "هذه إشارة يقرر الله - ﷻ- فيها وحدة الرسالة التي جاء بها جميع الرسل والأنبياء –عليهم السلام- "[٧٦]. وفي الحديث الصحيح: "الأنبياء أخوة من علات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد..."[٧٧].

وهذا الدين هو الإسلام الذي ارتضاه الله - ﷻ - لجميع رسله - عليهم السلام - وهذا ما يظهر جلياً واضحاً في كثير من الآيات القرآنية الكريمة منها:- ما يتعلق بدعوة نوح - عليه السلام - :

قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم أقضوا إليَّ ولا تنظرون. فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾[٧٨].

ما يتعلق بدعوة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى - عليهم السلام- :

قال تعالى: ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنكَ أنتَ السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لكَ ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ... ﴾(٧٩).

قال تعالى: ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائكَ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحنُ له مسلمون﴾(٨٠).

قال تعالى: ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحنُ له مسلمون﴾(٨١).

قال تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾(٨٢).

ما يتعلق بدعوة لــوط عليه السلام:

قال تعالى: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون ، قالوا إنا أُرسلنا إلى قوم مجرمين، لنرسل عليهم حجارة من طين، مسومة عند ربك للمسرفين، فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾(٨٣).

ما يتعلق بدعوة يوسف عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنتَ ولي في الدنيا والآخرة. توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ﴾[٨٤].

ما يتعلق بدعوة موسى عليه السلام:

قال تعالى:﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾[٨٥].

وقد أدرك فرعون أن موسى - عليه السلام - قد دعاه إلى الإسلام وليس إلى اليهودية، حيث يقول تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾[٨٦].

وكذلك بالنسبة لسحرة فرعون فقد أدركوا أن ما جاء به موسى - عليه السلام - هو الإسلام حيث يقول تعالى: ﴿وألقي السحرة ساجدين، قالوا آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون، قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين، قالوا إنا إلى ربنا منقلبون، وما تنقم منا إلا آن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾[٨٧].

ما يتعلق بدعوة عيسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحنُ له مسلمون﴾[٨٨].

وقد أدرك حواري عيسى - عليه السلام - أن رسالته هي الإسلام حيث يقول تعالى: ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحنُ أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون﴾[٨٩].

وقال تعالى: ﴿ وإذ أوحيت إلى الحوارين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون﴾[٩٠].

ما يتعلق بدعوة سليمان عليه السلام :

قال تعالى: ﴿قالت يا أيها الملأ إني ألقي إليَّ كتاب كريم، إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين﴾[٩١].

قال تعالى: ﴿ قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾[٩٢].

قال تعالى: ﴿ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكُنا مسلمين﴾[٩٣].

قال تعالى: ﴿ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمتُ مع سليمان لله رب العالمين﴾[٩٤].

مـا يتعلق بدعوة محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿ ... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ... ﴾[٩٥].

قال تعالى: ﴿ إنما أمرتُ أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرتُ أن أكون من المسلمين﴾[٩٦].

قال تعالى: ﴿ قل إني أمرتُ أن أعبد الله مخلصاً له الدين، وأمرتُ لأن أكون أول المسلمين﴾[٩٧].

ومن هنا يتبين لنا أن جميع الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام- قد جاءوا بدين واحد هو الإسلام، وهو دين الله الوحيد الذي أرسله إلى جميع الأمم منذُ آدم - عليه السلام- إلى محمد - ﷺ- وهذا الذي قد حسمه القرآن الكريم في الآيات السابقة وغيرها.

لذا فنخلص إلى القول بأن تعبير "الديانات السماوية" تعبير خاطيء من وجهة نظر إسلامية لأن الله - عز وجل- لم ينزل إلا ديناً واحداً هو الدين الإسلامي، ولكن يجوز لنا اطلاق تعبير "الكتب السماوية" لأنها متعددة وكثيرة، وكذلك يجوز لنا استعمال تعبير "الرسالات السماوية": حيث وردت في القرآن الكريم كلمة "رسالة" بالصيغتين الإفراد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [٩٨] والجمع قال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[٩٩].

وقد صور لنا رسول الله - ﷺ- الرسالات السماوية، أروع تصوير حيث قال: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين"[١٠٠]. ويعلق الدكتور محمد عبد الله دراز على ذلك فيقول: " هكذا كانت الشرائع السماوية خطوات متصاعدة ولبنات متراكمة في بنيان الدين والأخلاق وسياسة المجتمع، وكانت مهمة اللبنة الأخيرة منها أنها أكملت البنيان وملأت ما بقي فيه من فراغ، وأنها في الوقت نفسه كانت بمثابة حجر الزاوية الذي يمسك أركان البناء"[١٠١].

الـديـن والفطـرة:

عند الرجوع إلى مصادر ومراجع ما يسمى بالتاريخ القديم والآثار – وخاصة في الكتابات الغربية – نجد أن الذين دوّنوا تاريخ الأمم السابقة قد صوروا لنا أن تلك الأمم أمم وثنية، عاشت في جهل وضلال، حيث كانوا يتوجهون بعبادتهم إلى المخلوقات

كالشجر والنار والحيوان والكواكب ... الخ. واتخذوا لهم آلهة على قدر مقدرتهم العقلية، ثم تطوروا في العبادة إلى أن وصلوا إلى التوحيد وعبادة الإله الواحد. وهذه النظرية نادى بها أنصار مذهب التطور التقدمي أو التصاعدي، الذي ساد في أوروبا في القرن التاسع عشر، وطبقه على تاريخ الأديان بعض علماء الغرب ومنهم سبنسر، وتيلور ودوركايم وفريزر.[١٠٢]

هذا ونجد أن كثيراً من علماء الغرب، أمثال أدولف أرمان، وجيمس هنري، ودي بورج وغيرهم، قد أكدوا هذا التصور من خلال معالجتهم للتاريخ الديني للأمم، وكانوا عندما يصلون للحديث عن الدين الإسلامي يؤكدون بأنه بدعة أسسها محمد بتأثير من العقائد السابقة كاليهودية والمسيحية.[١٠٣]

وللأسف نجد أن بعض العلماء والكتاب المسلمين قد تأثروا بالتصور الغربي القائل بالتطور الديني لدى الشعوب، حيث تطور الدين من الوثنية إلى التعدد ثم إلى التوحيد، ففي موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية ورد القول التالي: " ترقى الإنسان في العقائد كما ترقى في العلوم والصناعات ..."[١٠٤] وهذا من وجهة نظر إسلامية، لا أساس له من الصحة، حيث يتعارض مع كثير من النصوص الإسلامية، سواء من القرآن الكريم، أو السنة النبوية الشريفة، فقد بينت هذه النصوص أن إرسال الرسل لم ينقطع عن أمة من الأمم منذُ أن خلق الله ﷻ آدم عليه السلام وحتى مجيء محمد ﷺ حيث يقول تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[١٠٥].

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية، نجد أنهما يؤكدان على أن التوحيد هو دين الله - ﷻ- الذي فطر عليه البشر، حيث يقول تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، قالوا بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة إنا كُنا عن هذا غافلين﴾[١٠٦].

وعندما سئل عمر بن الخطاب ﷺ عن الآية السابقة (الأعراف ١٧٢)، قال[١٠٧]: "سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: "إن الله ﷻ خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون" ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون" فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار"[١٠٨].

والآيـة السابقة (الأعراف ١٧٢)، تبين العهد الأول الذي اتخذه الله ﷻ على آدم ﷺ وذريته، ولذلك فقد قال تعالى - فيمن نقض هذا العهد- : ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾، وهذا ما ذهب إليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمة، والكلبي[١٠٩].

يقول الإمام الرازي. في سياق الآية: (إن الله ﷻ فطر الخلق على الإسلام يوم أخرجهم من ظهر آدم كالذر وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم وأمنوا به، فمن كفر فقد غير فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهذا معنى قولهِ ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة" ولكن أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه")[١١٠].

أما قول الله تعالى ﷻ: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾[١١١] فالرأي الراجح في معناها، أن الناس جميعاً كانوا على الدين الحق، وهو دين الإسلام، وهو دين الله ﷻ فالناس كانوا أمة واحدة في أنهم خلقوا على فطرة الإسلام، ثم اختلفوا في الأديان فيما بعد"[١١٢]. وإليه نجد الإشارة في قولهِ ﷺ:"ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه ..."[١١٣]. ففي هذا الحديث الشريف نجد أن كلمة

"الفطرة" ترادف كلمة "الإسلام"[١١٤] فيولد المولود مسلماً موحداً، ولكن يأتي بعد ذلك دور الأبوين لتثبيت وتأكيد هذه الفطرة أو بأخراجها عن مسارها الصحيح، فيعتنق هذا المولود دين أبويه متأثرا بهما.

وبعد مناقشة النصوص والتي تؤكد أن الإنسان يولد مسلماً موحداً، أن الخلل قد يطرأ عليه فيما بعد بسبب التأثر بالبيئة والمحيط الذي يعيش فيه، يبرز لنا سؤال جدير بالمناقشة والوقوف عنده، وخاصة إذا كان الحوار عن موضوع الفطرة، مع شخص لا يؤمن بدين، هذا السؤال هو ما موقف العقل من هذه القضية ؟.

الإجابة على هذا السؤال تبدأ بطرح سؤالين هما: هل ظاهرة التدين اختصت بها أمة من الأمم أم كانت وما زالت شائعة بين الأمم؟ وهل ظاهرة التدين أختص بها عصر من العصور أم ظهرت في جميع العصور؟.

أجابَ عن السؤالين السابقين، الدكتور محمد عبد الله دراز، وذلك من خلال نقله لبعض أقوال علماء الغرب بهذا الشأن، فقد نقل من معجم (لاروس) للقرن العشرين التالي:"إن الغريزة الدينية، مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية... وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية". "إن هذه الغريزة الدينية لا تختفي، بل لا تضعف ولا تذبل، إلا في فترات الإسراف في الحضارة، وعند عدد قليل جداً من الأفراد". وينقل أيضاً عن هنري برجسون قولهِ: "لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، لكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة"[١١٥]. وهذا يظهر لنا أن فطرة التدين أمر في داخل الإنسان وليست طارئة عليه، أينما كان هذا الإنسان، وفي أي زمان عاش، وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها ...﴾[١١٦]. وصدق رسول الله الكريم حيث قال:"ما من مولود إلا يولد على الفطرة..."[١١٧]. من هنا

ندرك أن العقل يؤيد ما ذهبت إليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد أن الإنسان مفطور على التدين.

حاجة الناس إلى الدين :

من المعروف أن الإنسان مخلوق من عنصرين هما :

١. العنصر المادي، يقول تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾[١١٨]. ويقول أيضاً: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾[١١٩].
٢. العنصر الروحي، يقول تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[١٢٠]. ويقول أيضاً: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾[١٢١].

ولكل عنصر من هذين العنصرين مطالبه وحاجاته، التي يستمدها من مصادرها التي تتناسب مع ماهية ذلك العنصر، فالعنصر المادي بحاجة إلى الغذاء المادي من أجل أن يقوى على الحياة. وهذا الغذاء لا بُد وأن يكون من جنس العنصر نفسه، أي أن يكون غذاء مادياً كالطعام والشراب ... الخ.

والعنصر الروحي أيضاً بحاجة إلى غذاء من نوعه، أي غذاء روحي يستمد من الدين الذي يتوافق مع الفطرة السليمة التي أودعها الله ﷻ في الإنسان.

وأي خلل في أحد هذين العنصرين لا يمكن أن تستقيم معه الحياة، وخير دليل واقعي على ذلك ما نراه في أيامنا الحاضرة، حيث نرى العشرات بل المئات في أفريقيا يموتون من جراء نقص أو فقدان الغذاء المادي، وكذلك نرى ما يحدث في العالم الغربي من زيادة نسب الانتحار، والإصابة بالأمراض النفسية والاجتماعية وارتفاع نسبة الجريمة، وذلك من جراء نقص أو فقدان الغذاء الروحي.

للدين أيضاً وظائفه النفسية الفردية، فحياة الجماعة قائمة على التعاون بين الأفراد، وهذا التعاون لا يتم على وجهه الأكمل إلا بنظام قائم على قانون ينظم العلاقات ويحدد الحقوق والواجبات، وهذا القانون لا يتم إلا بوجود وازع أو سلطان يجعل له في نفوس الأفراد المهابة من انتهاك حرماته. وأكبر وأعظم وازع أو سلطان للحفاظ على حرمات القانون وعدم انتهاكه هو الوازع الداخلي وهو الإيمان والعقيدة، هذا ويمكن تقسيم هذا الإيمان إلى نوعين الأول هو الإيمان بقيمة الفضيلة، وكرامة الإنسان وحقوقه، حيث لا تجرؤ النفوس العالية على انتهاك ذلك القانون. والنوع الأخر من الإيمان هو الإيمان بذات علوية، رقيبة ومطلعة على سرائر الإنسان، فيستمد القانون هيبته وسلطانه منها، ولا شك أن هذا النوع من الإيمان هو الأقوى على النفس البشرية.[١٢٢] لهذا نجد الدكتور محمد عبد الله دراز يقول: "التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة والنصفة، وكان ذلك ضرورة اجتماعية، كما هو فطرة إنسانية"[١٢٣].

ولو خصصنا الحديث عن الدين الإسلامي في موضوع تربية الناس والمجتمع، لوجدنا أن الشريعة الإسلامية، قد ربت الفرد والمجتمع بثلاثة أساليب، الأول وهو تربية الفرد والمجتمع تربية نفسية تنبع من الداخل وهي تربية على الخوف من الله ﷻ ومحبتـــه حتى يصل الفرد إلى كره انتهاك القانون، لأن في انتهاكه غضب الله ﷻ والأسلوب الثاني هو التناصح الاجتماعي، بحيث يصبح انتهاك القانون مرفوضاً اجتماعياً وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾[١٢٤]. والأسلوب الثالث هو وازع السلطان أي الدولة المسلمة المنفذة لأحكام الله ﷻ وبهذه الأساليب الثلاثة ينعم الفرد وتنعم الجماعة بحياة يسودها الرخاء والحضارة والسعادة[١٢٥].

ظهور تعدد الأديان والمقارنة بينها:

يقول الدكتور أحمد شلبي: " فلما جاء عصر التدوين في منتصف القرن الهجري الثاني وبدأ المسلمون يكتبون الفقه والتفسير والحديث اتجهوا كذلك للكتابة في علم مقارنة الأديان، فهو بذلك علم إسلامي كباقي العلوم الإسلامية"[١٢٦].

وقد ورد في كتاب دراسات في الأديان والفرق القول التالي: " إن المسلمين هم أول من جعلوا دراسة الأديان علماً مستقلاً له ذاتيته المستقلة"[١٢٧].

وورد أيضاً في كتاب أديان وفرق القول التالي: "إن المسلمين أول من طبع دراسة الأديان بطابع الاستقلالية، فخلصوه من بقية المعارف والعلوم والفنون، وجاءت دراستهم مطبوعة بطابع الشمولية"[١٢٨].

فعلم مقارنة الأديان باعتباره علما مستقلا قائما بذاته، فهو نتاج إسلامي نابع من طبيعة الدعوة الإسلامية، والتي تؤمن بالحرية الفكرية، والتسامح الديني، والدفاع عن الإسلام - الدين الحق- بالحجة المصحوبة بالحكمة والإقناع.

إن العلماء المسلمين بذلوا جهودا عظيمة في دراسة الأديان، وقد كان لهم السبق في طرق هذا العلم بموضوعية قائمة على منهج علمي دقيق. وقد كانت دراستهم للأديان معتمدة على المصادر الموثوقة والبعيدة كل البعد عن الأساطير والخرافات، واستطاع العلماء المسلمون أن يجعلوا هذا العلم مستقلاً عن بقية المعارف وطبعوه بطابع الاستقلالية بعد أن كان يطرق على أنه جزء من المعارف الأخرى.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: متى بدأت المقارنة بين الأديان عمليا قبل أن تظهر كعلم له استقلاليته ومنهجيته ومؤلفاته ؟ .

الجواب على هذا السؤال يتلخص بما يلي:

إن المقارنة بين الأديان عمليا قد ظهرت عندما تعددت الأديان. فقد بينت سابقاً أن دين الله - - واحد غير متعدد فهو الإسلام والدين الذي بعث الله تعالى من أجهل جميع الرسل - عليهم الصلاة والسلام- ولكن عندما مال أُناس عن الجادة، وخالفوا الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها اخترعوا لأنفسهم معتقدات وتشريعات خرجوا بها عن دين الله تعالى وهو الإسلام فأرسل الله - - الرسل - عليهم الصلاة والسلام- ليعيدوهم إلى الطريق المستقيم، وأثناء دعوتهم كانت تظهر المقارنة وهذا بشهادة القرآن الكريم.

وهذا يقود إلى سؤال آخر وهو متى بدأ التعدد في الأديان ؟

وهنا لا بُد من الرجوع إلى الأحاديث والآثار الصحيحة، ولعلنا نجد جواباً شافياُ لهذا السؤال.

وعن ابن عباس قال : "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق"(١٢٩). والمراد بالقرن هنا "الجيل من الناس" كما ورد في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

قال تعالى : ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾(١٣٠)، وقال تعالى: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾(١٣١)، وقال تعالى: ﴿وقروناً بين ذلك كثيراً﴾(١٣٢).

وعن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول ﷺ : "إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرن ولا يوفون ويظهر فيهم السمن"(١٣٣).

يقول ابن كثير تعليقاً على ذلك: "فقد كان الجيل قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين"(١٣٤).

ويقول أيضاً: "ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمور اقتضت أن آل الحال بأهل ذلك الزمان إلى عبادة الأصنام"(١٣٥).

ولهذا بعث الله نوحا عليه السلام إلى أهل الأرض بعد أن غير بعض الناس دينهم، وخرجوا عن فطرتهم وعبدوا الأصنام من دون الله عز وجل

سوف يتبين أن "مقارنة الأديان" عمليا بدأت من زمن نوح عليه السلام بعد أن ظهر منذ هذا الزمن ديانات وضعية بجانب الديانة السماوية التي ارتضاها الله - عز وجل - لجميع رسله - عليهم السلام- ولا بُد هنا من الوقوف على بعض المقارنات والحوارات التي حدثت بين بعض الرسل وأقوامهم، كما ذكرها لنا القرآن الكريم : -

١- نوح عليه السلام مع قومه :

قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾(١٣٦).

قال تعالى: ﴿ قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً، ومكروا مكراً كباراً، وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً، وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾(١٣٧).

٢- هود عليه السلام مع قومه :

قال تعالى: ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون. يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون، ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين، قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحنُ بتاركي آلهتنا

عن قولك وما نحن لك بمؤمنين، إن نقول إلا اعتـراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد اللّه وأشهدوا أني برئ مما تشركون، من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، إني توكلت على اللّه ربي وربكم ما من دابةٍ إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾(١٣٨).

٣- صالـح عليه السلام مع قومه :

قال تعالى: ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا اللّه ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب، قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد ءآباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾(١٣٩).

قال تعالى: ﴿ كذبت ثمود المرسلين، إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا اللّه وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين، أتتـركون في ما هاهنا آمنين، في جناتٍ وعيون، وزروع ونخل طلعها هضيم، وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين، فاتقوا اللّه وأطيعون، ولا تطيعوا أمر المسرفين، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾(١٤٠).

٤- إبـراهيـم عليه السلام مع قومه :

قال تعالى: ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين، فلما جنَّ عليه الليل رءا كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رءا القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني

بريئ مما تشركون ، إني وجهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً ومآ أنا من المشركين﴾[١٤١].

يقول ابن كثير - رحمه الله تعالى- معلقاً على هذه الآيات: " وهذا المقام مقام مناظرة لقومه، وبيان لهم أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النيرة، لا تصلح للألوهية، ولا أن تعبد مع الله - ﷻ- لأنها مخلوقة مربوبة مصنوعة مدبرة مسخرة، تطلع تارة وتأفل أخرى، فتغيب عن هذا العالم، والرب - تعالى- لا يغيب عنه شيء، ولا تخفى عليه خافية، بل هو الدائم الباقي بلا زوال، لا إله إلا هو ولا رب سواه"[١٤٢].

وقال تعالى: ﴿ وإبراهيم إذ قال لقومه أعبدوا الله وأتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، إنما تعبدون من دون الله أوثـانـا وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾[١٤٣].

٥- يوسف عليه السلام في السجن:

قال تعالى: ﴿ يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار، ما تعبدون من دونه إلا أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[١٤٤].

٦- موسى عليه السلام مع فرعون:

عندما سأل فرعون موسى وهارون - عليهما السلام- عن ربهما، أجابَ موسى - عليه السلام- إجابة فيها مقارنة، وذلك لبيان ضعف فرعون الذي أدعى الربوبية فهو مخلوق والله - ﷻ- هو الخالق المستحق للعبادة والتمجيد ولا يمكن أن يتساوى المخلوق مع الخالق ﷻ.

قال تعالى: ﴿قال فمن ربكما يا موسى، قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾[١٤٥].

٧- محمدﷺ مع المشركين العرب:

قال تعالى: ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾[١٤٦].

ومحمد ﷺ مع أهل الكتاب :

قال تعالى: ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلاَّ هو سبحانه عما يشركون ﴾[١٤٧].

من هنا يظهر عندنا أن مقارنة الأديان عمليا ظهرت في زمن نوح - عليه السلام- وهذا بشهادة الآيات القرآنية السابقة وغيرها. ولكن مقارنة الأديان كعلم له قواعده وأُسسه ومنهجيته، فقد ظهر على أيدي العلماء المسلمين وهذا يؤكد أهمية تقرير ذلك.

الخاتمة:

بعد دراسة الدين مفهومه وحقيقته في ضوء القرآن والسنة، فقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية :

١- عند تعريف الدين في اللغة والاصطلاح، نجد أن العلاقة بينهما أصيلة ووطيدة قائمة على معنى المحاسبة والمحاكمة والالتزام وذلك أن الدين التزام وامتثال لأوامر الله - عز وجل- ولكن عند الحديث عن المعنى الاصطلاحي للدين نرى أن العلماء المسلمين قد قصروا تعريفهم للدين على أنه المنزل من عند الله عز وجل وهو

الإسلام، بينما العلماء الغربيون قد عرفوا الدين بشكل عام دون النظر إلى مصدره، هل هو إلهي ؟ أم بشري؟، ولكن عند الرجوع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية ونجد أن الدين قد ذكر بمعناه الخاص وهو الإسلام، وذكر أيضاً بمعناه العام، وهو كل معتقد قائم على الإيمان بإله مهما كان مصدره.

٢- وقد توصلت الدراسة إلى حقيقة أكدتها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وهي أن جميع الرسل قد جاءوا بدينٍ واحد وهو الإسلام، وأن التسميات كاليهودية والنصرانية تسميات بشرية ظهرت عندما غير الناس عقائدهم بعد أنبيائهم، ولهذا نجد أن القرآن الكريم قد برأ الأنبياء من هذه الديانات أو التسميات.

٣- وقد وضحت الدراسة أصالة العلاقة بين الدين والإنسان، فهي علاقة لا تنفك عنه فهو مفطور على هذا الدين الإلهي حيث قال تعالى: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، فالإنسان بحاجة لهذا الدين حاجة فطرية روحانية بالإضافة للحاجة التشريعية، فالإنسان بحاجة إلى تشريعات وقوانين تنظم حياته صادرة عن مشرع منزه عن المصلحة وعالم علماً مطلقاً بكل ما يصلح حياة الناس وهذا لا يكون إلا بالدين الإلهي.

٤- ومن نتائج هذه الدراسة أنها حددت في ضوء القرآن والسنة بداية خروج بعض الناس عن دين الفطرة، وانه كان في زمن نوح عليه السلام وهذا الخروج قد أدى إلى ما يُسمى بتعدد الأديان والمعتقدات، مما أدى ذلك إلى ظهور المقارنة بين المعتقد الرباني الصحيح والمعتقدات الأخرى التي صنعها البشر، وذلك خلال دعوة الرسل - عليهم الصلاة والسلام- للناس إلى الدين الإلهي دين الفطرة.

هذا ويوصي الباحث أن ييسر وصول هذه المادة العلمية للباحثين في مجال الأديان، حتى تدرس الأديان في ضوء الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة.

الهوامـش :

١. د. محمد عبد الله دراز، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص٢٧- ٥٤، دار العلم، القاهرة، ١٩٥٢م.

٢. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص٤٩٩، الرياض، ١٩٨٩م.

٣. د. أمين القضاة وآخرون، أديان وفرق، ص٩، المكتبة الوطنية، عمان، ١٩٩٠م.

٤. د. سعيد البيشاوي وآخرون، دراسات في الأديان والفرق، ص٧- ٩، دار الاتحاد، عمان، ١٩٩٠م

٥. د. موسى أبو الريش والاستاذ محمد مختار المفتي، إظهار الحق في الأديان والفرق، ص٩، دار الإسراء، عمان، ١٩٩٢م.

٦. انظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة، ص٤٩٩ حيث ورد فيها التالي: "النصرانية هي الديانة المسيحية التي أنزلت على عيسى –عليه السلام- ".

- د. أمين القضاة وآخرون، أديان وفرق، ص٦٥، حيث ورد التالي: "إن المسيحية دعوة إلهية مكملة لرسالة موسى لبني إسرائيل".

- د. سعيد البيشاوي وآخرون، دراسات في الأديان والفرق، ص٦١، حيث ورد التالي: "وقد جاء المسيح مبشرا بالمسيحية...الخ".

٧. د. سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص٦- ٨، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ.

٨. جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة "دين"، مجلد ١٣، ص١٦٨- ١٧١.

٩. سورة الصافات: الآية ٥٣.

١٠. ابن منظور، لسان العرب، مجلد ١٣، ص١٦٨- ١٧١.

١١. سورة الفاتحة: الآية ٤.

١٢. سورة الروم: الآية ٣٠.

١٣. ابن منظور: لسان العرب، مجلد ١٣، ص١٦٨- ١٧١.

١٤. المصدر السابق.

١٥. الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، الطبعة الأولى، ج١٣، ص٢٧٢، رقم الحديث (١٧٠٥٩)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م.

- اسناده حسن، والحديث مشهور فقد صححه الحاكم ٢٥١/٤، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي، ٦٣٨/٤ رقم ٢٤٥٩، ورواه ابن المبارك في الزهد ٥٦ رقم ٢٥، الطيالسي ١٥٣ رقم ١٢٢، والطبراني في الكبير ٣٣٧/٧ رقم ٧١٤١.

١٦. ابن منظور، لسان العرب، مادة (دين). مجلد ١٣، ص١٦٨- ١٧١.

١٧. دراز، الدين، مرجع سابق، ص٣٠- ٣١.

١٨. المرجع السابق، ص٣٣.

١٩. سورة آل عمران: الآية ١٩.

٢٠. سورة آل عمران: الآية ٨٥.

٢١. سورة المائدة: الآية ٣.

٢٢. سورة الفتح: الآية ٢٨.

٢٣. سورة الكافرون: الآية ٦.

٢٤. دراز، الدين، مرجع سابق، ص٣٣.

٢٥. سورة البقرة: الآيتان ١٣٠، ١٣٥. سورة آل عمران: الآية ٩٥، سورة النساء: الآية ١٢٥. سورة الأنعام: الآية ١٦١. سورة يوسف: الآيتان ٣٧، ٣٨. سورة النحل: الآية ١٢٣. سورة الحج: الآية ٧٨. سورة ص: الآية ٧.

٢٦. سورة الأعراف: الآية ٨٩.

٢٧. سورة الأعراف: الآية ٨٨. سورة إبراهيم: الآية ١٣.

٢٨. سورة البقرة: الآية ١٢٠، سورة الكف: الآية ٢٠.

٢٩. نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، بحر العلوم، ج١، ص١٥٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٠. سورة النساء: الآية ٤.

٣١. محمد الرازي فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٩، ص١٨٧، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م. وانظر أيضا جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج١، ص١٣١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.

٣٢. سورة الزخرف: الآية ٢٢.

٣٣. اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٢٠١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٣٤. سورة البقرة: الآية ٢١٣.

٣٥. الرازي، التفسير الكبير، مصدر سابق، ج٥، ص١٢، ١٣.

٣٦. سورة آل عمران، الآية ١٩.

٣٧. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، جـ٢، ص٥٥٥.

٣٨. احمد بن عبد الحليم بن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج١، ص٥، ٢٢١. وأنظر أيضاً نفس المرجع، جـ٢، ص٣٢.

٣٩. صحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب فضائل عيسى –عليه السلام- / حديث رقم ١٤٥.

٤٠. محمد الرازي فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، جـ٤، ص٢٢٧، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
٤١. محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، ج٥، ص٤٠٢، ٤٠٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، وانظر ايضا احمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج١٠، ص٩٦- ١٠١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٠م.
٤٢. محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٢٣٠، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.
٤٣. المصدر السابق، ص٢٤٤.
٤٤. سورة آل عمران: الآية ٦٧.
٤٥. سورة آل عمران: الآية ٨٥.
٤٦. سورة آل عمران: الآيات ٨٣- ٨٥.
٤٧. الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مصدر سابق، جـ٤، ص١٣٩. وانظر ايضا ابن تيمية، الجواب الصحيح، مصدر سابق، ج١، ص٥، ٢٢١. ج٢، ص٣٢.
٤٨. سورة الحج: الآية ٧٨.
٤٩. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، جـ١٢، ص٩٤، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.
٥٠. المصدر السابق.
٥١. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج٥، ص٣٩١.
٥٢. سورة الأنعام: الآية ١٦١.
٥٣. سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٤، ص٢٤٤٦، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٩م.
٥٤. سورة البقرة: الآية ١٢٨.
٥٥. القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، مصدر سابق، جـ٢، ص١٠١.
٥٦. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٥، ص٤٦٤، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧م.
٥٧. المصدر السابق.
٥٨. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، جـ٥، ص ٣٩١- ٣٩٢.
٥٩. احمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، ج٦، ص٤١٢، كتاب التفسير/ باب ٢٥٠/ حديث رقم ١١٣٤٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.
٦٠. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج١، ص٩٣.
٦١. سورة القصص: الآيتان ٥٢، ٥٣.

٦٢. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج٦، ص٦٥.
٦٣. سورة القصص: الآيتان ٥٢، ٥٣.
٦٤. القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، مصدر سابق، ج١٣، ص٢٩٦.
٦٥. سورة القصص: الآية ٥١.
٦٦. سورة القصص: الآيتان ٥٢- ٥٣.
٦٧. سورة الأحقاف: الآية ٩.
٦٨. سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٦، ص٣٢٥٧.
٦٩. سورة القصص: الآية ٥٣.
٧٠. سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٠١.
٧١. سورة الأحقاف: الآية ١٠.
٧٢. سورة الحج: الآية ٨.
٧٣. سورة الشورى : الآية ١٣.
٧٤. ابن تيمية، الجواب الصحيح، مصدر سابق، ج١، ص١١.
٧٥. المصدر السابق، ج٢، ص٣٢.
٧٦. سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٥، ص٣١٣٩.
٧٧. صحيح مسلم/ كتاب الفضائل/ باب فضائل عيسى –عليه السلام- / حديث رقم (١٤٥).
٧٨. سورة يونس: الآيتان ٧١- ٧٢ .
٧٩. سورة البقرة : الآيتان ١٢٧ - ١٢٨.
٨٠. سورة البقرة: الآيات ١٣٠- ١٣٣ .
٨١. سورة البقرة: الآيتان ١٣٥- ١٣٦.
٨٢. سورة آل عمران: الآية ٦٧.
٨٣. سورة الذاريات: الآيات ٣١ - ٣٦.
٨٤. سورة يوسف: الآية ١٠١
٨٥. سورة يونس: الآية ٨٤.
٨٦. سورة يونس: الآية ٩٠.
٨٧. سورة الأعراف: الآيات ١٢٠- ١٢٦.
٨٨. سورة البقرة : الآيتان ١٣٥- ١٣٦.
٨٩. سورة آل عمران: الآية ٥٢.

٩٠. سورة المائدة: الآية ١١١.

٩١. سورة النمل: الآيات ٢٩- ٣١.

٩٢. سورة النمل: الآية ٣٨.

٩٣. سورة النمل: الآية ٤٢.

٩٤. سورة النمل: الآية ٤٤.

٩٥. سورة المائدة: الآية ٣.

٩٦. سورة النمل: الآية ٩١.

٩٧. سورة الزمر: الآيتان ١١- ١٢.

٩٨. سورة المائدة: الآية ٦٧، وانظر ايضا سورة الأعراف: الآية ٧٩.

٩٩. سورة الأعراف: الآيات ٦٢،وانظر ايضا سورة الأعراف: الآيتان ٦٨، ٩٣، وسورة الأحزاب: الآية ٣٩.

١٠٠. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب خاتم النبيين- صلى الله عليه وسلم- / حديث رقم ٣٥٣٤.

١٠١. دراز، الدين، مرجع سابق، ص١٨٠.

١٠٢. المرجع السابق، ص١٠٧.

١٠٣. المرجع السابق.

١٠٤. عباس محمود عقاد، الموسوعة الإسلامية، جـ١، ص٢٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٠م.

١٠٥. سورة فاطر: الآية ٢٤.

١٠٦. سورة الأعراف : الآية ١٧٢.

١٠٧. الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٨، ص٥٠.

١٠٨. محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي/ كتاب تفسير القرآن/ باب (٨)، حديث رقم (٣٠٧٥). وقال ابو عيسى الترمذي "هذا حديث حسن".

١٠٩. الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٨، ص٥٠.

١١٠. المصدر السابق، ج٦، ص٤٩.

١١١. سورة يونس: الآيـة ١٩.

١١٢. الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٩، ص٦٠٤- ٦٦٦ .

١١٣. صحيح البخاري/ كتاب التفسير: باب لا تبديل لخلق الله/ حديث رقم (٤٧٧٥). وهنالك رواية أخرى هـي: "كـل مولـود يولـد علـى الفطـرة..." وردت في البخـاري/ كتـاب الجنـائز/ بـاب مـا قيـل في أولاد المشركين/ حديث رقم (١٣٨٥). وفي سنن الترمذي/ حديث رقم (٢١٣٨). وفي السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٢/٦ و٢٠٣). وفي إرواء الغليل للألباني (٤٩/٥).

١١٤. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز، ج٣، ص٦٢١، ج٩، ص٤٦٥. دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

١١٥. دراز، الدين، مرجع سابق، ص ٨٢- ٨٣.

١١٦. سورة الروم: آية ٣٠.

١١٧. سبق تخريجه.

١١٨. سورة السجدة: الآية ٧.

١١٩. سورة الرحمن: الآية ١٤.

١٢٠. سورة الحجر: الآية ٢٩، سورة ص: الآية ٧٢.

١٢١. سورة السجدة: الآية ٩.

١٢٢. دراز، الدين، مرجع سابق، ص١٠٠.

١٢٣. المرجع السابق.

١٢٤. سورة العصر: الآيات ١- ٣.

١٢٥. عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط١، ص٦٣،دار الفكر ، دمشق، ١٩٧٩م.

١٢٦. د. أحمد شلبي، مقارنة الأديان، اليهودية، ط٦، ص٢٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

١٢٧. د. سعيد البشاوي، وفاء أحمد، نصر علي، ومحمود حمودة. دراسات في الأديان والفرق، ص١٣، دار الاتحاد، عام ١٩٩٠م.

١٢٨. د. أمين القضاة، د. محمد الخطيب، ومحمد عوض. أديان وفرق، ص١٢، عمان، ١٩٩٠م.

١٢٩. الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٦، ص٣١٨، ٣١٩، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م. وقال عنه: "فيه عبد الصمد بن النعمان وثقه ابن معين".

١٣٠. سورة الإسراء: الآية ١٧.

١٣١. سورة المؤمنون: الآية ٣١.

١٣٢. سورة الفرقان: الآية ٣٨.

١٣٣. صحيح مسلم/ كتاب فضائل الصحابة –رضي الله تعالى عنهم- (رقم الكتاب ٤٤)/ باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم (رقم الباب ٥٢)/ حديث رقم ٢١٤).

١٣٤. اسماعيل ابن كثير، قصص الأنبياء، ط١، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ص٧٠، دار الفكر والتوزيع، عمان، بلا تاريخ.

١٣٥. المصدر السابق، ص٧٧.

١٣٦. سورة الأعراف: الآية ٥٩.
١٣٧. سورة نـوح: الآيات ٢١- ٢٤ .
١٣٨. سورة هود: الآيات ٥٠ - ٥٦.
١٣٩. سورة هـود: الآيتان ٦١ - ٦٢.
١٤٠. سورة الشعراء: الآيتان ١٤١- ١٥٢.
١٤١. سورة الأنعام: الآيات ٧٥ - ٧٩.
١٤٢. ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ص١٣١.
١٤٣. سورة العنكبوت: الآيتان ١٦- ١٧.
١٤٤. سورة يوسف: الآيتان ٢٩- ٤٠.
١٤٥. سورة طـه : الآيتان ٤٩- ٥٠.
١٤٦. سورة النحل: الآية ١٧.
١٤٧. سورة التوبة: الآيتان ٣٠- ٣١

المصادر والمراجع:

١) القرآن الكريم
٢) احمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، دار الفكر، بدون تاريخ.
٣) أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م.
٤) احمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.
٥) احمد بن عبد الحليم بن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، اشرف على طبعه علي السيد صبح المدني، بدون دار نشر وتاريخ.
٦) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
٧) أحمد شلبي، مقارنة الأديان، اليهودية، ط٦، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.
٨) احمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٠م.
٩) اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
١٠) اسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، ط١، دار الفكر والتوزيع، عمان، بدون تاريخ.
١١) أمين القضاة وآخرون، أديان وفرق، المكتبة الوطنية، عمان، ١٩٩٠م.
١٢) جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.
١٣) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٠م.
١٤) سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ.
١٥) سعيد البيشاوي وآخرون، دراسات في الأديان والفرق، دار الاتحاد، عمان، ١٩٩٠م.
١٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٧) عباس محمود عقاد، الموسوعة الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٠م.
١٨) عبد الرحمن حسن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ١٩٩٤م.
١٩) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر ، دمشق، ١٩٧٩م.
٢٠) عبد الله بن محمد البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
٢١) قحطان عبد الرحمن الدوري وآخرون، أصول الدين الإسلامي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.
٢٢) محمد الرازي فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
٢٣) محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار سحنون، اسطنبول، ١٩٩٢م.

٢٤) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.
٢٥) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧م.
٢٦) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
٢٧) محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
٢٨) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٩) محمد عبد الله دراز، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار العلم، القاهرة، ١٩٥٢م.
٣٠) محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.
٣١) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
٣٢) موسى ابو الريش ومحمد ضرار المفتي، إظهار الحق في الأديان والفرق، دار الإسراء، عمان، ١٩٩٢م.
٣٣) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، ١٩٨٩م.
٣٤) نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
٣٥) نور الدين علي بن أبي مكرم الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.
٣٦) يحيى بن شرف النووي الدمشقي، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

The Meaning and the Essential Nature of the Religion in the Light of Qur'an and Hadith

Bahgat Al-Habashena
Amman - Jordan
P.O.Box 130221 Zip cod 25113

Abstract:

This research deals with the meaning and the essential nature of the religion on the basis of the Qur'an and the Hadith, which makes this work new in the field of the comparative religion.

This study shows that the word "religion" is mentioned in the Qur'an and hadith to mean the only religion which was sent with all the prophets from adam to Muhammad "peace be upon them", and to mean - as well- any belief based upon believing in God.

This study -as well- shows the deep relation between the people and the religion, and shows that the commencement of the appearing of the diversity of the religions.